

ديوان الترسل
عند العُمانيين (1)

محبوب
الإصدار الخامس والستون

مدخل إلى ديوان الترسل عند العُمانيين

ينتهي إلى حضرة انسان عيني الافاضل مستجمع المحاسن والفضائل سيدي الوالد المعظم حميد بن
برحميد الكفاني رامت معالمه وسعدت بليامه ولياليه أما بعد فاني أهدي أشرف تحيات
أشرفت في سماء الطروس بدورها وفاح في طين السطور غيرها وأقبل يادكم الطاهرة وأطلب
فضلكم واستمد دعاكم واتوسل إلى الله تعالى أن يجعل جميع أيام سعادتكم مواسم وأعياد
وان ينعم علينا بطول بقاكم لننال من بركاتكم ما ملأوا من هذا وحيث أنه بزغت
شمس هذا الشهر السعيد بأفوق المسرة وكان لقلوب المسلمين فرحة ولاعينهم فرح بادر
تقدّم هذه القصيدة لتتروى بعض الثماني السدي الوالد له لم يراعها إلى بلده
أن يجد عيني في داره المسرة بحد الأيام ولا نزلت تزهو بينكم العصور والأعوام
ولا برج الهدى بياضكم والسعد والأقبال على اعتباركم وأطال المولى بقاءكم سيدي
الداعي والذكر يحيى بن حميد عامر بن

بقلم

سلطان بن مبارك بن حمد الشيباني

سلسلة: ديوان الترسل عند العُمانيين
الحلقة الأولى
مدخل إلى ديوان الترسل عند العُمانيين

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الرقمية الأولى
صفر 1445هـ / سبتمبر (أيلول) 2023م

محبوب

محبوب للنشر الرقمي
مسقط / سلطنة عُمان
البريد الإلكتروني:
mahboub.pd@gmail.com

مدخل إلى
ديوان الترسُّل
عند العُمانيين

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله،
 وعلى آله وصحبه ومن والاه

الرسالة وثيقة، شأنها شأن غيرها من أنماط الوثائق الأخرى، كالوثائق الدولية؛ من معاهدات واتفاقيات. والوثائق الدَّيوانية؛ التي تُسَجَّلُ الصادرَ من مقرِّ الحكم والوارد إليه. ووثائق المعاملات الشرعية؛ كالوصايا والأوقاف وقسمة الموارث والبيوع والإقرارات والوكالات والدعاوى والمنازعات وأحكام الصلح. والوثائق الاجتماعية؛ كالمذكرات والوقائع؛ التي تُعْنَى برصد يوميات الكاتب أو أسفاره أو أحداثٍ عاصرها.

وللوثيقة ثلاث جوانب رئيسة - تَطَّرِدُ في وثائق المراسلات وغيرها -
جانبٌ مادي؛ يُعْنَى بالتعامل معها باعتبارها قطعة أثرية، من حيث المواد المستخدمة في صنعها، كالحوامل (مِنْ وَرَقٍ وَجِلْدٍ وما شَبَّه) والأحبار والأختام. **وجانبٌ لغوي**؛ يبحث في صياغتها اللغوية، ونمط كتابتها، ومُخَزُونِهَا من المفردات الفصيحة والدارجة، وأساليبها البلاغية. **وجانبٌ علمي**؛ يتعلق بِمَضْمُونِهَا في أي فنّ كان.

وَبَدَهِيّ أَن الْجَانِبَ الْعِلْمِي لِلوِثِيقَةِ أَطْوَلَ عُمُرًا وَأَكْثَرَ بَقَاءً مِنْ جَانِبِهَا الْمَادِي، فَثَمَّةٌ أُلُوفٌ مِنَ الْوِثَاقِ تَضْمِنُهَا الْمَصْنَفَاتُ وَتَنَاقِلُهَا الْأَقْلَامُ وَفُقِدَتْ أَصُولُهَا الْمَادِيَّةُ، مَعَ الْأَخْذِ فِي الْإِعْتِبَارِ أَنَّ نَقْلَ الْوِثِيقَةِ قَدْ يَتَعَرَّضُ لِتَحْرِيفٍ أَوْ تَغْيِيرٍ فِي لَفْظِهَا الْأَصْلِيِّ.

أَمَّا فِي جَانِبِهَا اللَّغَوِي؛ فَالْمُرَاسَلَاتُ فَنٌّ مِنْ فُنُونِ النَثْرِ الْأَدْبِيِّ؛ كَالْمَقَالَاتِ وَالْمَقَامَاتِ وَالتَّقَارِيظِ وَالْمَذَكِرَاتِ. وَقَدْ يُعَبَّرُونَ عَنْهَا بِاسْمِ (صِنْعَةِ الْإِنْشَاءِ) أَوْ (فَنِ التَّرْسُلِ). وَاشْتِقَاقُ التَّرْسُلِ فِي اللُّغَةِ مِنْ «تَرَسَّلْتُ أَتَرَسَّلُ تَرَسُّلاً» عَلَى نَحْوِ قَوْلِهِمْ: «تَوَقَّفْتُ أَتَوَقَّفُ تَوَقُّفًا». وَيُقَالُ لِلْمُكْثَرِ مِنْ كِتَابَةِ الرِّسَالِ حَتَّى تَكُونَ صِفَةً غَالِبَةً عَلَيْهِ: (مُتَرَسَّلٌ).

وَقَدْ بَرَزَتْ فِي تَارِيخِ الْحَيَاةِ الثَّقَافِيَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَسْمَاءُ كَثِيرٍ مِنَ الْكُتَّابِ الْمُتَرَسِّلِينَ؛ كَعَبْدِ الْحَمِيدِ الْكَاتِبِ (ت 132هـ)، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُقَفَّعِ (ت 142هـ)، وَعَمْرُو بْنُ بَجْرِ الْجَاحِظِ (ت 255هـ)، وَغَيْرِهِمْ. وَبَاتَ (التَّرْسُلُ) مِضْمَارًا لِفِرْسَانِ الْكَلَامِ، وَأَسَاطِينِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ.

وَتَعَارَفَ النُّقَادُ الْقَدَمَاءُ وَالْمُحَدِّثُونَ عَلَى أَنَّ الرِّسَالَةَ الْأَدَبِيَّةَ تَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ:

- **الرِّسَالَةُ الدِّيَوَانِيَّةُ:** وَهِيَ مَا يَصْدُرُ عَنِ الدَّوَاوِينِ السُّلْطَانِيَّةِ أَوْ مَا يَرِدُ إِلَيْهَا مِنْ مَوْضُوعَاتٍ شَتَّى تَنْسَقُ الْعِلَاقَاتُ بَيْنَ الْحُكَّامِ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، وَبَيْنَ مُحْكُومِيهِمْ. وَيَغْلُبُ عَلَى هَذَا الرِّسَالَةِ تَمَسُّكُهَا بِتَقَالِيدِ فَنِيَّةٍ صَارِمَةٍ،

وأعرافٍ ملتزمة محددة، نظرًا لصدورها من جهة رسمية. ويُختار لها صفوةُ البلغاء الذين يعتنون بالتنميق اللفظي والمحسنات البديعية.

- **الرسائل الإخوانية:** ويُقصد بها الرسائل التي يدبجها الأدباء إلى أهليهم، أو مَنْ يُماثلهم في المنزلة من الإخوان والنظراء، في غرضٍ من الأغراض الاجتماعية أو الثقافية. وغالبًا ما تكون خالية من التكلف والمجاملة، تجلو عواطفهم وأحاسيسهم، وقد تُصاغ في قالبٍ فني رائع بعيدًا عن الرُسُميات المعقدة.

ومن أشهر المترسلين العمانيين في الرسائل الديوانية: محمد بن محبوب (ت260هـ)؛ كاتب رسائل الإمام الصلت بن مالك (237 - 272هـ)، وخميس بن سعيد الشقصي (ق11هـ) كاتب رسائل الإمام ناصر بن مرشد (1034 - 1059هـ)، وخلف بن سنان الغافري (ق12هـ) كاتب رسائل أئمة اليعاربة، ومحمد بن عامر ابن عَرِيق المعولي (ت1190هـ) كاتب رسائل الإمام أحمد بن سعيد (1162 - 1198هـ) وسالم بن محمد الرواحي (ت1366هـ) كاتب رسائل سلاطين زنجبار؛ والمشهور بلقب (كاتب الحضرة السلطانية بزنجبار).

أما الرسائل الإخوانية فاشتهر بها عدد كبير من أدباء عمان؛ منهم: عامر بن سليمان الريامي (ق13هـ) والمُهَنَّا بن ناصر بن سالم البهلاّني (ت1385هـ) ومحمد الشيبة ابن عبد الله بن حميد السالمي (ت1406هـ) وسالم بن سليمان بن سالم البهلاّني (ت1403هـ).

ومن نماذج الرسائل الديوانية الصادرة: رسالة الإمام أو الملك محمد بن مالك بن شاذان (ق6هـ) إلى بعض معارضيه؛ وقد أوردها الإمام السالمي (ت1332هـ) كاملةً في (تحفة الأعيان)، ومنها: «كَفِّكَ غَرْبَكَ، واستوقف سربك، وأودع العصا بلحاهها، والدلو برشاها، فإننا مِنْ دُونِها ووراهها، إن امْتَحِنَّا أَرْوَيْنَا، وإن قَدَحْنَا أَوْرَيْنَا، وإن نُكَبْنَا أَدْمِينَا، بحولِ اللهِ وقوته لا بحولِ مني ولا قوة، وأنا متوكل على اللهِ ﴿ومن يتوكل على اللهِ فهو حسبه﴾ إن الله بالغ أمره».

ومن نماذج الرسائل الديوانية الواردة: رسالة أبي مسلم ناصر بن سالم البهلاقي (ت1339هـ) إلى الإمام سالم بن راشد الخروصي (1331-1338هـ) بعمان. قال فيها ناصحاً: «وللهِ السياسةُ الكاملة، والخيرةُ التامة، والتربية الزاكية، يَحْتَارُ لعباده ما فيه الخيرُ لهم، وإذ اختاركَ لِحِمْلِ هذه الأمانة العظيمة فوَلَّاكَ قسماً من بلاده، وَحَكَّمَك على طائفة من عباده؛ فَقِفْ لله حيثُ أنتَ؛ يَكُنْ لك في عونهِ وتسديده وتوفيقهِ حيثُ هو.

إِنَّ اللهَ لَمْ يُورِثْكَ مُلْكًا وَسُلْطَانًا دُنْيَوِيًّا، وَلَكِنْ قَلَدَكَ سُلْطَانًا نَزَلَ به جبرائيلُ عليه السلامُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، أَنْتَ مَسْئُولٌ فيه يومَ القيامة؛ يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ، عَنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ وَأَقَلِّ مِنْهُ، فَقَدِّمِ للسَّوَالِ جوابًا، واحرص في الحركات والسَّكِّنَاتِ والخطرات - بكلِّ قواك، وجميع جهدك، ومنتهى طاقتك - أن تنتهي فيه إلى مرضاة اللهِ، وتفرّ فيه عن سخطه ومكارهه».

أما الرسائل الإخوانية فلها مجالات كثيرة، كالتحية والتهنئة والتعزية والاعتذار والعتاب، وقد أورد عددًا كبيرًا منها الأديب المؤرخ حميد بن محمد بن رزيق (ق13هـ) في كتابيه: (الصحيفة العدنانية) و(الصحيفة القحطانية)، وحرص الشيخ المؤرخ سيف بن حمود البطاشي (ت1420هـ) على تضمينها في عامة كتبه.

منها: رسالة خلف بن سنان الغافري (ق12هـ) - وكان معروفًا بالسجع - إلى الوالي سليمان بن محمد بن ربيعة المربوعي الضنكي: «بسم الله الرحمن الرحيم. سمعنا أن شيخنا وسيدنا بالأمس محموم، فساوَرنا لذلك العُبُوسُ والوُجُوم، وخامرثنا الغموم والهموم، فعَرَّفنا - رحمك الله - صُورَةَ حالِك، عسى ينبجلي ظلامُ أحزاننا المُدْلَهَمِّ الحالك، نسأل الله لك عافيةً غير عافية، ودُمَّ معافي مسرورا، جذلا محبورا. من المعتصم بالملك المنان، خلف بن سنان».

ومن نماذج مراسلات سالم بن سليمان البهلاّني: قوله من رسالة كتبها لعلي بن منصور الشامسي (ت1402هـ) يعاتبه فيها سنة 1383هـ: «سلامٌ أقَدَّمه مقروناً بالثناء، مُعَزِّزاً بآيات الوداد والإخلاص، على أيامِ خلْت، وحالٍ عن عهدِها تحَوَّلْتُ، وفترةٍ استولت على المراسلة قطعاً. فليت شعري؛ ما هناك يا ابن منصور؟! فإن كان معدودٌ يقتضي الصُّدود فصِفْها بالقصور، فما المرءُ إلا عثرة من عثرات العوارض. وإلا فإنَّ لمثلِكَ سوابق رَصَّعها الدهرُ جوهرة على جبينه، فهي كالتاج في رأس الملك. عُتبي رفعَتها

عوامل الرّفْع لتنتصب أمامَ ضميرك، وإني غيرُ مخفوضٍ جرّاً جرّ القاعدين
عن مسيرك. إلى العلاء والولاء يا ابنَ جلا...».

ومن نماذج مراسلات الشاعر محمد بن شيخان السالمي
(ت1346هـ) إلى ابن عمه الشيخ العلامة عبد الله بن حميد السالمي
معتذرا إليه: «إلى حضرة من فاق العالم أصلاً وفرعاً، فاحضر عُوْدُهُ في
الكون إحساناً وعدلاً، وهَمَّتْ أُنديته العلية طَلاً وبلا. لا زالت نفحات
الأيام تتضوع بتّباديه، وتنشر قوافيه، وتسقي رياض غاديه. حقيركم
وصله الدرّ النضيد، من لؤلؤ خالص الوداد بأنامل التأييد، فتلقفه محبُّكم
بالقبول، وأنشأ في رده يقول: أيها العالم الأدلّ، في الأقل والأجلّ، أصاب
حسام رأيك، وأخطأ سنان رأيي، فكنت الصّبا وكنت السّموم، فكيف مع
الوشل يكون الوشل!».

ومن نماذج مراسلات النساء العمانيات في القرن الثالث عشر
الهجري: «من صفية بنت موسى بيدها إلى أختها في الله الشبيخة الرضية
سارة بنت محمد بن علي بن محمد العبادية، أما بعد؛ فقد أحزني نبأ وفاة
ولدي علي رحمه الله، وهذا حال الدنيا نتقلب فيها بين حلو القضاء ومره...
كما قال القائل:

ومن عرف الأيام لم ير حفظها نعيما ولم يعدد مضرتها بلوى
وكما قال غيره:

قد ذقت شدة أيامي ولذتها فما حصلتُ على صاب ولا غسل

وقد أراني الشباب الروح في بدني وقد أراني المشيب الروح في بدلي
فسلمي الأمر لله وكوني من الصابرات».

والمراسلات العمانية تتميز بأساليب وخصائص واصطلاحات خاصة، وللمستشرق الألماني برنهارت موريتس Bernhard Moritz (ت1358هـ/1939م) كتابٌ عنوانه بالألمانية: (Sammlung arabischer Schriftstücke aus Zanzibar und Oman)؛ وقد وضع له عنواناً عربياً سماه فيه: «السُّمُوط الدُّرِّيَّة في الخطوط العربية»، ووصفه بقوله: «وهي مكاتيبٌ عربية زنجبارية وعُمانية»، والكتاب يضم مجموعة مختارة من مراسلات أهل عمان وزنجبار، التزم بتصوير أصولها الخطية، مع ترجمة محتواها إلى الألمانية، وتقديم ملاحظات على أسلوبها ولغتها واصطلاحاتها. طُبع في برلين سنة 1309هـ/ 1892م. ويُعدّ من بواكير الدراسات الحديثة في اللغة العمانية الدارجة في المراسلات.

وبعد؛ فهذه سلسلةٌ أجمع فيها نماذج من ترسُّلات العمانيين عبر العصور، قصدًا إلى لفت الأنظار إلى نمطٍ أدبي لم يُعطَ كبيرَ اهتمام.